

رأس المال الفكري: إشكالية مفهوم؟

- أ.الهاشمي عباسية جامعة بسكرة - الجزائر -
- أ.د. عبد الحميد غوفي جامعة بسكرة - الجزائر -

ملخص:

على غرار أي مكون من مكونات المنظمة، يُعد تحديد مفهوم واضح، دقيق، شامل وجامع لرأس المال الفكري مسألة ضرورية لتسييره والتحكم فيه بما يحقق الفائدة القصوى والأهداف المرجوة.

بيد أن الطبيعة الغامضة والمعقدة وغير الملموسة لهذا المكون أفرزت إشكالية في مفهومه، نتج عنها العديد من وجهات النظر المتشابهة حيناً والمتباينة أحياناً.

لذلك سنحاول -من خلال هذا المقال- إلقاء مساحة من الضوء على بعض جوانب الجدل الدائر حول تعريف رأس المال الفكري، والنابع أساساً من هذه الإشكالية المفهومية لهذا المصطلح.

الكلمات المفتاحية: رأس المال الفكري، رأس المال البشري، رأس المال الهيكلي، رأس المال العلاقتي، إشكالية مفهوم رأس المال الفكري، تعريف رأس المال الفكري.

Abstract:

As all components of the organization, identifying a clear, precise, comprehensive and inclusive notion of intellectual capital is an inescapable question to manage and master it, in order to achieve the maximum benefit and desired goals.

However, the ambiguous, complex and immaterial nature of this component has produced a conceptual problematic, which spawned a many points of view, sometimes similar and more often divergent.

Therefore, we will try, through this article, to clarify certain aspects of the debate on the definition of intellectual capital, stemming principally from this conceptual problematic.

Keywords: intellectual capital, human capital, structural capital, relational capital, conceptual problematic of intellectual capital, definition of intellectual capital.

مقدمة

إن أول عقبة تواجه الباحث في موضوع رأس المال الفكري، هي تحديد مفهوم واضح وتعريف دقيق لهذا المصطلح. وهذا فعلاً ما أشار إليه Engström وآخرون، حيث لاحظوا غياب تعريف موحد لهذا المصطلح، مع ربطه دوماً بعدة مصطلحات أخرى مثل:

المعارف، المهارات، "معرفة كيف" (know-how) ، الخبرات، الأصول غير الملموسة، المعلومة، العمليات وخلق القيمة' (Engström et al, 2003, pp287-303)

بل إن المشكلة تمتد إلى المصطلح نفسه، حيث نجد اختلافات كثيرة في التسميات المستخدمة للإشارة إلى رأس المال الفكري. من أمثلة هذه التسميات: رأس المال اللامادي، رأس المال المعرفي، الأصول الفكرية، الأصول اللامادية، الأصول غير الملموسة، الأصول المعرفية... هذا فضلا عن الخلاف الموجود بين المقاربة المحاسبية وبين المقاربة التسييرية والاقتصادية في تعريف هذا المصطلح.

كل ذلك أدى إلى ظهور عدة تعريفات مختلفة لهذا المصطلح، كانت سببا في الكثير من التعقيدات الناشئة أساسا عن إشكالية في مفهومه، وقفت حجر عثرة أمام فهم الجوانب اللامادية للمؤسسة وتحليلها وتسييرها.

ولذلك سنحاول -من خلال هذا المقال-إلقاء مساحة من الضوء على إشكالية مفهوم رأس المال الفكري، ومدى تأثيرها على صوغ تعريف واضح، دقيق، وشامل لهذا المصطلح، وذلك من خلال استعراض بعض جوانب الجدل الدائر حول تعريف رأس المال الفكري، والنابع أساسا من هذه الإشكالية في مفهوم هذا المصطلح بالأساس.

انطلاقا من هذا فإننا -لنجيب على هذه الإشكالية-نفترض أن هناك مشكلة في فهم مصطلح رأس المال الفكري، صعبت مهمة صياغة تعريف واضح، دقيق، وشامل لهذا المصطلح.

بيد أنه للإجابة على تلك الإشكالية، وإثبات هذا الافتراض أو دحضه، من المناسب التطرق أولا إلى بعض المحاور ذات الصلة، المساعدة على تحديد مضامين، وصياغة أطر وخلفيات يمكن -في ضوئها-معالجة إشكالية مفهوم رأس المال الفكري.

يتم ذلك من خلال التعرف أولا على التطور التاريخي لمفهوم رأس المال الفكري، ثم إبراز الأهمية النسبية لهذا المفهوم بالنسبة للمنظمات اليوم، بعدها تحديد خصائصه الأساسية التي تميزه عن المفاهيم الأخرى لرأس المال، وفي الأخير نعالج إشكالية المفهوم من خلال استعراض مختلف أوجه النظر في هذا المضمار، لنختم بالإجابة على إشكالية البحث، وإثبات فرضيته أو دحضها، ونتوج مختلف هذه الآراء والأفكار ببناء مفهوم تركيبي معتمد على مختلف هذه المساهمات.

1. نشأة مفهوم رأس المال الفكري وتطوراتاه.

خضع مفهوم رأس المال الفكري لعدة تطورات وتحولات، أفصت بظهوره كأحد أهم انشغالات المنظمة المعاصرة، وتبلوره كواحدة من أهم نظريات الفكر "المناجمنتي". يمكن أن نلخص تطورات هذا المفهوم - من النشأة إلى النظرية- في مراحل ثلاث: (العنزي، صالح، 2009، ص 166)

- المرحلة الأولى: الإرهاصات الأولية، وتوجه الاهتمام بالإمكانات البشرية.

- المرحلة الثانية: تلميحات المفهوم، وتوجه الاهتمام باللاماديات.

- المرحلة الثالثة: تكثيف الجهود البحثية، وولادة النظرية.

المرحلة الأولى: الإرهاصات الأولية، وتوجه الاهتمام بالإمكانات البشرية.

إن إلقاء نظرة سريعة على تطور مفهوم رأس المال الفكري يجعلنا ندرك جيدا أن البدايات المبكرة لهذا المفهوم نتجت أساسا عن الاهتمام المتزايد بالموارد البشري في البداية، وبرأس المال البشري وفق نظرة أخرى أكثر تطورا، وذلك داخل المنظمة، وحتى خارجها. وقد يتبادر إلى الذهن أن هذا الاهتمام بالموارد البشرية لم يظهر إلا بعد تجارب مصانع "Hawthorne" في الولايات المتحدة الأمريكية بين عامي 1927 و 1932 على يد " Elton Mayo". بيد أن المتتبع للتطور التاريخي للفكر "المناجمنتي" يجد أن هذا الاهتمام أقدم من ذلك بكثير؛ إذ تعود جذوره الأولى إلى القرن السابع عشر الميلادي.

فقد ذكر كلٌّ من *Pietro G. Lovaglio* و *Jacob Mincer* أن مفهوم رأس المال البشري مفهوم قديم جدًا، (Lovaglio, 2008, pp 342-356) وأن عمره كمصطلح اقتصادي يناهز القرنين من الزمان، بيد أن إدماجه في التحليل الاقتصادي والبحوث الجارية لم يتم إلا في العقود الأخيرة. (Mincer, 1984, pp 195-205)

يؤكد هذا *B. F. Kiker* - الذي يعتبر حسب *Schultz* أحد أهم من أرخوا لتطور مصطلح رأس المال البشري (Schultz, 1972, pp1-84) - حين قال أن أولى المحاولات لتقييم العمال كانت على يد الاقتصادي *William Petty* عام 1691، الذي يعتقد أن العمل هو مولد الثروة، وأنه لا بد من أخذه بالحسبان عند حساب ثروة الأمة، (Kiker, 1966, pp481-499) على عكس ما قرره المدرسة العلمية فيما بعد من أن العمال مجرد تكلفة، وأنهم لا يُحفزون إلا بزيادة أجورهم. (Charreaux et Pitol-Belin, 1992, pp 258-269)

من جهة أخرى فقد أشار الاقتصادي الإنجليزي Adam Smithe في كتابه الشهير "ثروة الأمم" إلى تأثير مهارات العاملين في العملية الإنتاجية وجودة المخرجات، بل وطالب بضرورة تحديد الأجور بناءً على ما يُبذل من وقت وجهد ومال لكسب المهارات المطلوبة لأداء العمل، (Smithe, 1852, pp 27-36) لأن هذا الأخير يُعد -حسب Smithe- المقياس الحقيقي للقيمة التبادلية لأية سلعة. (Smithe, 1852, pp 27-36)

وبدوره أكد الاقتصادي Alfred Marshall عام 1890 على أهمية الاستثمار في الأفراد بقوله: " إن أثمان أنواع رأس المال هو ما يستثمر في البشر" (Marshall, 1920, p324) رغم أنه كان يعارض استخدام مصطلح "رأس مال" على الكائن البشري لأن هذا غير واقعي. (Kiker, 1966, pp 481-499)

ولذلك يمكن القول - بكل ثقة - أن الجهود الفكرية والإسهامات العلمية التي بُذلت في هذا المضمار منذ القرن السابع عشر وحتى أواخر القرن التاسع عشر شكّلت الأساس لما يعرف اليوم "برأس المال البشري"، الذي يمكن اعتباره النواة الأساسية التي انبثق منها لاحقاً مفهوم رأس المال الفكري.

وهذا فعلاً ما أكده Irving Fisher عام 1905 عندما وضع الأساس لنظرية رأس المال البشري المعاصرة، وذلك بإدخال هذا الأخير في مفهوم رأس المال (Fisher, 1907, p193)، رغم أن هذا اصطدم آنذاك باعتراضات الكثير من الاقتصاديين وعلى رأسهم Alfred Marshall نفسه؛ الذي كان يرى أنه -وبدون شك- يمكن اعتبار البشر من الناحية التجريدية والرياضية "رأس مال"، إلا أنه من غير العملي توسيع مفهوم السوق التقليدية لرأس المال لتشمل رأس المال البشري. (Schultz, 1972, pp 6-7)

وفي نهاية الخمسينات وسّع كل من Scholtz و Mincer مفهوم رأس المال البشري، حيث اعتبراه فئة من رأس المال مستقلة عن رأس المال التقليدي، آخذين بعين الاعتبار خصائصه الاقتصادية الإنتاجية وأدوات قياسه. (العنزي، صالح، 2009، ص 158).

أما في المرحلة الممتدة بين ستينات القرن الماضي وسبعيناته، فقد شهدت تطورات سريعة في نظرية رأس المال البشري، أفضت إلى فهم أعمق للسلوك الإنساني على المستويين الفردي والجماعي (العنزي، صالح، 2009، ص 158)، ففي عام 1964 ميز G.Becker رأس المال البشري العام، الذي يزيد إنتاجية المالك عموماً، وبين رأس المال البشري الخاص، الذي يزيد إنتاجية المالك في نشاط محدد. (G.Becker, 1975, pp 19-37)

وبشكل عام، يمكن القول أن التطورات التي حدثت في هذه المرحلة شددت الانتباه إلى أهمية الموارد البشرية، وضرورة اعتبارها كرأس مال. وهكذا توجت هذه المرحلة بظهور نظرية رأس المال البشري وتطورها، هذا الأخير الذي سيكون حجر زاوية في مفهوم رأس المال الفكري.

المرحلة الثانية: تلميحات المفهوم، وتوجه الاهتمام باللاماديات.

تعد هذه المرحلة أقصر بكثير من سابقتها، إذ لا يتجاوز عمرها عقدا من الزمن، من بداية ثمانينات القرن الماضي إلى بداية تسعيناته.

وعلى الرغم من قصر هذه المرحلة، إلا أنها حوت جملة من التطورات المتسارعة والمنتالية، التي تمخضت عن ظهور مصطلح رأس المال الفكري لأول مرة.

ففي مطلع الثمانينات بدأ الحديث عن الأصول غير الملموسة، وأصبح جُلُّ المسيرين والأكاديميين والمستشارين مدركين أن هذه الأصول هي في الغالب المحدد الرئيس للأرباح.

يؤكد ذلك ما لاحظته *Hiroyuki* عام 1980 من وجود تباين في أداء الشركات اليابانية، يعود سببه إلى اختلاف نسبة الأصول غير الملموسة التي تمتلكها كل شركة، وتوصل في النهاية - من خلال تحليل نشره - إلى أنه لا يمكن الحصول على الأصول غير الملموسة باستخدام المال وحده، وأن هذه الأخيرة هي الأساس لتحقيق عوائد الشركات، لأنها قابلة للاستخدام المتعدد والمتزامن، وتعود بفوائد متعددة ومتزامنة. (*Harrison, Sullivan, 2000, pp 33-46*)

وفي عام 1986 نشر *Karl-Erik Sveiby* - وهو مدير لشركة نشر صغيرة - كتابا باللغة السويدية بعنوان "شركة معرفة كيف" (*the know-how company*) بيّن فيه كيفية إدارة الأصول غير الملموسة (*Harrison, Sullivan, 2000, pp 33-46*) باعتبارها مصدرا حقيقيا لبقاء المنظمات ونموها.

وفي العام نفسه كتب *David Teece* - من جامعة كاليفورنيا - مقالا بعنوان "الإفادة من الإبداع التكنولوجي"، والذي أوضح فيه الخطوات الضرورية لاستخراج القيمة من الإبداع. (*Teece, 1986, pp 285-305*)

وفي أواخر الثمانينات - وبعد اطلاعه على مقال *Teece* السابق - أنشأ *Patrick H. Sullivan* عام 1989 لأول مرة نشاطا استشاريا يعتمد على التواصل مع الزبائن واعتماد آرائهم في كيفية خلق القيمة من الإبداع من وجهة نظر تجارية. (*Harrison, Sullivan,*

(2000, pp 33-46) وهو ما يمكن بلورته وتصنيفه كأحد مكونات رأس المال الفكري، والمتمثل في رأس المال العلائقي، وبالتحديد رأس المال الزبوني.

وقد توجت هذه المرحلة في بداية التسعينات بوقوع ثلاثة أحداث رئيسية: (النقي،

2010، ص 7)

الأول: عام 1990 عندما أطلق Ralf Stayer لأول مرة مصطلح رأس المال الفكري.

الثاني: عام 1991 عندما نشر Stewart مقالا بعنوان " القوة العقلية " .

الثالث: عام 1991 أيضا، حين تم تعيين Leif Edverson كأول مدير لرأس المال

الفكري في العالم، وذلك في شركة Skandia للخدمات المالية والتأمينية . (Chatzkel, 2002, p18)

يُلاحظ في هذه المرحلة تنامي الاهتمام والانشغال بالأصول غير الملموسة كأهم دعائم بقاء المؤسسات واستمرارها، وكأهم مصادر خلق القيمة، حيث كُلت هذه المرحلة بولادة مفهوم رأس المال الفكري وظهوره لأول مرة.

يتناغم هذا التطور مع ما ذكره Ralf Stayer - مدير شركة John Sonville عندما قال:

"سابقا كانت الموارد الطبيعية أهم مكونات الثروة القومية، وأمن موجودات المنشآت والمجتمع عموما، بعد ذلك أصبح رأس المال المتمثل في النقد والأصول الثابتة هو أهم مكونات المنشآت، أما اليوم فقد أصبح رأس المال الفكري أهم مكونات الثروة القومية وأعلى موجودات الشركات". (العنزي، صالح، 2009، ص 160)

المرحلة الثالثة: تكثيف الجهود البحثية، وولادة النظرية.

تمتد هذه المرحلة من منتصف التسعينات تقريبا إلى يومنا هذا، فمع اقتراب منتصف التسعينات وظهور مصطلح رأس المال الفكري تكاثفت الجهود البحثية وذلك لبناء تصور مشترك وفهم موحد، وكذا الاتفاق على مبادئ وممارسات فيما بين الباحثين والمسيرين حول هذا الموضوع.

ففي عام 1993 انشغلت شركة Dow Chemical باستخراج الأرباح وتطويرها من رأس المال الفكري، وذلك عن طريق الاهتمام بالأفكار والإبداعات التي أهملت سابقا، ودراسة واختيار الأفكار التي تحقق عوائد عليا. (العنزي، صالح، 2009، ص 162)

وفي العام نفسه صرّح Peter Druker - في معرض حديثه عن خلق القيمة-أن الأصول غير الملموسة تحث على عملية التحول في المجتمع، لتحوله إلى ما يسمى "بمجتمع

رأس المال الفكري: إشكالية مفهوم؟

المعرفة"، أين تكون هذه الأخيرة المورد الرئيس فيه. وفي هذا المجتمع لا يتم خلق القيمة عن طريق تخصيص رأس المال أو العمالة، بل عن طريق الابتكار (Innovation). (التقي، 2010، ص 8).

ومما يعكس أيضا تنامي الاهتمام برأس المال الفكري وتكاثر الجهود البحثية حوله، صدور الكثير من المقالات والبحوث في هذا المضمار، فمثلا نشرت مجلة Fortune العديد من المقالات حول رأس المال الفكري، وهذا ما ساعد في توليد إدراكٍ وعيٍ عالين بشأنه في العديد من الأعمال والمشاريع في الولايات المتحدة الأمريكية. (التقي، 2010، ص 8). دائما وفي إطار تطور الاهتمام برأس المال الفكري وسُبل استخراج القيمة منه، اتفق كل من Rutrash ، Sullivan و Edvenson عام 1994 على ضرورة عقد اجتماع يضم ممثلي كافة الشركات المهمة باستخراج القيمة من موجوداتها الفكرية، وذلك للكشف عن وجهة نظر هؤلاء حول مفهوم رأس المال الفكري وسُبل إدارته.

من هذا المنطلق عُقد هذا الاجتماع فعليا عام 1995 تحت عنوان "إدارة رأس المال الفكري" (ICM)، تَضَمَّن جدول أعماله عدة محاور أهمها الاتفاق على تعريف مصطلح رأس المال الفكري، وتحديد عناصره الأساسية، وكذا طرق استخراج القيمة منه (العنزي، صالح، 2009، ص 162)، وهذا ما يعد مؤشرا مهما على وجود إشكالية مطروحة حول مفهوم رأس المال الفكري.

وفي العام نفسه أشرف مكتب Arthur Anderson للاستشارات - بالتعاون مع المركز الأمريكي للإنتاجية والجودة- على ندوة بعنوان "ضرورة المعرفة"، حيث قُدمت فيها عدة أبحاث ومقالات، تمخضت عن أداة لتقييم المعرفة وتسييرها، تتكون من 24 سؤالا تسعى إلى اكتشاف مساهمة العاملين في رأس المال الفكري. (De Jager, pp 367-372)

كما نشرت الشركة السويدية للخدمات المالية والتأمينية SKANDIA أول تقرير سنوي عن رأس مالها الفكري، وذلك باستخدام ما أطلق عليه اسم نموذج "مستكشف سكانيديا" (Mouritsen et al, 2001, pp399-422) أو "Skandia navigator"، ومنذ ذلك الحين تم تبني هذا النموذج وتحسينه من قبل العديد من الشركات الأخرى، والتي قام بعضها بوضع مداخل ومقاربات خاصة به عن رأس المال الفكري. (التقي، 2010، ص 9).

دائماً في إطار الندوات والملتقيات، قامت هيئة الأوراق المالية S.E.C عام 1996 برعاية ندوة حول رأس المال الفكري، توقع فيها المفوض Steven Wallman بأن رأس المال الفكري سيكون يوماً ما جوهر التقرير السنوي للمنشآت الحديثة (النقي، 2010، ص9)، و وصف التقارير الحالية بالمضللة، نظراً لغياب جزء كبير من المعلومات المهمة المتعلقة بالأصول غير الملموسة، (Chatzkel, 1998) ودعا إلى تلوين هذه التقارير التي لا تظهر - حسبه - إلا باللونين الأبيض والأسود، (Troxler, 2009) وذلك لافتقارها للمعلومات حول الجوانب اللامادية في المؤسسة، والتي من شأنها إظهار قيمة المؤسسة بكافة أطيافها اللونية. وبدخولنا النصف الثاني من التسعينات، انتقل هذا الزخم الفكري حول رأس المال الفكري إلى الوطن العربي، تجلّى ذلك من خلال عقد العديد من الندوات والمؤتمرات، عالج بعض محاورها موضوع رأس المال الفكري، من بين هذه المؤتمرات والندوات: ندوة " التنمية البشرية: صناعة التميز والريادة" التي عُقدت في القاهرة عام 1997، و" المؤتمر الدولي للتعلم والتدريب وتنمية الموارد البشرية"، الذي عُقد في المنامة عام 1998. وفي الإطار نفسه، نذت المنظمة العربية للتنمية الإدارية، بالتعاون مع معهد الإدارة العامة بسلطنة عُمان، فعالية بعنوان " العلم هو البوابة الحديثة في هذا العصر" باعتبار أن العلم والمعرفة مكونان أساسيان لرأس المال الفكري والبشري. (النقي، 2010، ص9) أما دولياً فقد تواصلت التطورات، حيث شهدت التسعينات عقد المؤتمر الدولي السنوي حول رأس المال الفكري، الذي ينعقد سنوياً ابتداءً من عام 1998. كما نُظمت الندوة الدولية لرأس المال الفكري عام 1999 في أمستردام، تركزت جهودها حول مناقشة أهداف رأس المال الفكري واتجاهاته وطرائق قياسه ومستوياته وأبعاده، وخرجت الندوة بعدد من المقترحات، أهمها وصف طرق قياس رأس المال الفكري، ومزايا كل طريقة وعيوبها. (العنزي، صالح، 2009، ص 163)

كما شهدت نهاية التسعينات صدور بعض المجلات والدوريات المتخصصة في هذا الموضوع مثل: *Journal of intellectual capital*. وهكذا فمن الملاحظ أن فترة التسعينات من هذه المرحلة تميزت ببذل جهود مكثفة حول بحث ودراسة موضوع رأس المال الفكري، بما في ذلك محاولات فك شيفرة مفهومه الذي بقي غامضاً لدى الكثير من الباحثين.

وقد تواصلت هذه الجهود في مطلع الألفية الثالثة، ففي عام 2000 أشار M. Koenig - في مقال له بعنوان "انبعاث رأس المال الفكري: تأكيد التحول من القياس إلى الإدارة" - إلى أن رأس المال الفكري كان الشغل الشاغل للمسيرين في مطلع التسعينات، ثم تراجع هذا الاهتمام نظرا لاصطدامه بعقبة صعوبة القياس، ثم عاد الاهتمام بقوة ليظهر رأس المال الفكري في الواجهة بصفته الأساس في بناء مفهوم إدارة المعرفة. (Koenig, 2000)

كما بين كل من Petty و Guthrie في أستراليا أنه لبناء أفضل استراتيجية لتسيير المعارف، لا بد أن تتضمن هذه الاستراتيجية إيضاحات لبنود رأس المال الفكري في التقارير السنوية.

ومما يؤكد هذا الشرط ما لاحظته Lev عام 2001 أنه خلال الفترة 1977-2001 تضاعفت نسبة القيمة السوقية للشركات إلى قيمتها الدفترية خمسة أضعاف، وهذا يعني أن 80% من القيمة السوقية للشركات لا تنعكس في قوائمها المالية، مما يؤكد محدودية قدرة هذه القوائم على تفسير قيمة المنشآت، وبناء على ذلك استنتج أن مصدر القيمة أضحى كامنا في خلق رأس المال الفكري أكثر من إنتاج السلع المادية. (Brage, Eckerstöm, 2010)

ولعل هذا ما حدا بالكثير من المستثمرين الماليين إلى طلب معلومات أكثر حول الاستثمارات في رأس المال الفكري التي تقوم بها الشركات، لتكون هذه المعلومات عاملا محددًا في قراراتهم الاستثمارية، ولهذا تقوم شركة مثل SKANDIA السويدية - كل عام - بنشر وثيقة تدعى *Customer value* تصف فيها للمساهمين كافة استثماراتها غير المادية. (Meignant, 2000, p50)

نظرا لذلك، وباعتبار رأس المال الفكري يمثل جملة متناغمة من عوامل النجاح، فقد تواصلت الجهود بالتركيز على مؤشرات قياسه، لتسهيل إدارته والتحكم فيه لتوليد مزايا تنافسية للمنظمة، وفي هذا الإطار حاول كل من D.Han و I.Han عام 2004 تحديد هذه المؤشرات ووضع أوزان لها، بغرض الخروج بنموذج لاتخاذ القرار في شركات اتصالات الجوال. (التقي، 2010، ص 10).

لقد أحدث موضوع رأس المال الفكري موجة عارمة من الاهتمام، سواء من الناحية الميدانية أو من الناحية النظرية الأكاديمية، وصلت إلى حد إنشاء العديد من المعاهد

والمؤسسات التي تهتم بكافة الجوانب المتعلقة بالأصول غير الملموسة، على غرار "معهد تحليل الأصول غير الملموسة"¹، الذي تأسس في إسبانيا عام 2004. ولا يزال موضوع رأس المال الفكري في تطور مستمر، طالما أن الجهود البحثية مازالت مركزة عليه، محاولة تحديد مفهوم وبناء نظرية يمكن على أساسها دراسة أبعاد هذا الموضوع وقياسها، وهذا ما يعكس بوضوح أهمية هذا المفهوم بالنسبة للمنظمات اليوم.

II. أهمية رأس المال الفكري

تنبع أهمية رأس المال الفكري أساسا من كونه أكثر الموجودات قيمة في القرن الحادي والعشرين، أين تعيش المنظمات مرحلة اقتصاد المعارف، (المفرجي، صالح، 2007، ص20) لأنه المحرك الرئيس للأداء والنواة الأساسية للتميز والتفرد البقاء. وهذا ما تكهن به رائد التسيير الحديث Peter Druker في نهاية الثمانينات، حيث قال: إن مصنع الغد سينبني على المعلومة وليس على "الأتمتة"¹، وأكد أن المعرفة هي المورد الاقتصادي الرئيس، والمصدر المهيمن - وربما الوحيد- للميزة التنافسية. (التقي، 2010، ص14).

كما تتجلى أهمية رأس المال الفكري في قيمته المتزايدة، التي أصبحت تشكل جزءاً مهماً من قيمة المؤسسة، إذ لم يعد رأس المال الفكري مجرد متغير بسيط في قيمة المنظمات، بل جزءاً معتبراً من هذه القيمة، المتمثل في القيمة اللامادية. ولذلك "يعتبر رأس المال الفكري اليوم عنصراً مهماً لضمان حسن سير المنظمات العصرية" (Lonnox, 2013, pp 84-101) وكمثال ملموس على هذه الأهمية المتزايدة لرأس المال الفكري على حساب الأصول الملموسة ما ذكرته Margaret BLAIR من معهد Brookings الأمريكي المتخصص في البحث والتكوين في مجالات العلوم الإنسانية، حيث قالت: إن قيمة الأصول الحقيقية للشركات الصناعية وشركات التعدين كانت تمثل 62.3% من قيمتها السوقية عام 1982. لكنها أصبحت في عام 1992 لا تتجاوز 37.9% من قيمتها السوقية. (Marois, Bonpoint, 2004, p73)

¹ The instute for the analysis of intellectual assets.

Le capital immatériel : priorité à l'approche citoyenne dans l'économie de l'ère "
, conférence mondiale d'UNI pour les cadres, Singapour, 21-23 aout "numérique
2000, p11.

ولعل أفضل تشبيه لقيمة المؤسسة - وفق هذا التصور- هو "الجبل الجليدي" الذي لا يظهر منه إلا ثلثه تقريبا، وهو ما يقابل رأس المال المادي والمالي، بينما يختفي أغلبه عن العيان، وهذا ما ينطبق على رأس المال الفكري، الذي يغيب جزء مهم منه عن القوائم المالية والمحاسبية للشركات.

وعلى مستوى آخر، فإن أهمية رأس المال الفكري لا تقتصر على المنظمات فحسب، بل تمتد إلى الدول والحكومات، التي تسعى اليوم إلى تقييم إرثها اللامادي، مثلما هو الحال في فرنسا²، كما نلمس هذه الأهمية الدولية في توجه الاتحاد الأوروبي -من خلال أعضائه - إلى السعي لاستثمار ثلث الناتج المحلي الخام في مشاريع البحث والتطوير. (Marr, 2005, pp 469-473)

وبشكل عام، يمكن تلخيص أهمية رأس المال الفكري في العناصر الآتية: (الدوري، صالح، 2009، ص 158).

1. يعد رأس المال الفكري السلاح الأساس لمنظمة اليوم، لأن الموجودات الفكرية تمثل القوة الخفية التي تضمن البقاء للشركة، وهذا ما أشار إليه Stewart، فقد بين أن ثلثي الشركات الثرية - البالغ عددها 500 شركة عام 1954 - اختفت وتداعت، لتحل محلها - عام 1994- شركات صغيرة معتمدة على الموجودات المعرفية أكثر من اعتمادها على الموجودات المادية الأخرى.

2. يعتبر رأس المال الفكري في المنظمة بمثابة ميزة تنافسية، ولعل هذا ما دفع Jerome Adams -الرئيس المدير للتعليم في شركة SHELL النفطية - إلى القول: " نحن ملتزمون بأن نصبح منظمة متعلمة، ونعتقد أن الميزة التنافسية تكمن في قابلية المستخدمين للتعلم بشكل أسرع".

3. يمثل رأس المال الفكري كنزا مدفونا، لأن أجزاء مهمة منه تبقى ضمنية وغير صريحة، ونحتاج إلى استخراجها وتشكيلها ونشرها في المنظمة.

4. رأس المال الفكري مصدر لتوليد الثروة وخلق القيمة واستدامتها داخليا وخارجيا، فبراءات الاختراع مثلا قادرة وحدها على توليد ثروة خيالية، وهذا ما أكدته بحوث مؤتمر إدارة رأس المال الفكري - الذي عُقد في نيويورك عام 2000 - وأهم ما جاء فيه بهذا الصدد أن شركة IBM تجني أكثر من بليون دولار سنويا كعائد على براءات الاختراع، من

² http://fr.wikipedia.org/wiki/Capital_immat%C3%A9riel , consulté le 06/07/2012.

جهة أخرى فقد حققت شركة Microsoft العالمية أرباحا تزيد على 6 مليار دولار بفضل أفكار وإبداعات 6 إلى 8 من موظفيها فقط، وتراوحت قيمة رأس مالها الفكري ما بين 67 إلى 91,6 بليون دولار. أما شركة Coca-Cola فقد حققت أفضل تقييم وتوليد لرأس مالها الفكري، حيث يقول Strasmann - الخبير المتخصص في حساب الموجودات غير الملموسة-: " إن هذه الشركة التي تبيع الماء والسكر وقليلًا من الفقاعات تحقق ثروة عالية عن طريق معرفتها الحميمة بالسوق واسم علامتها التجارية، وعلاقتها مع منافذ التوزيع".(العنزي، صالح، 2009، ص175)

5. الأهمية الاستراتيجية لرأس المال الفكري كونه مورداً:(العنزي، صالح، 2009، ص176) ثمينا، نادرا، صعب التقليد، صعب الإحلال والاستبدال. كما تكمن أهميته الاستراتيجية في قدرته على توليد قيمة معتبرة للمنظمة واستدامتها، وفي هذا الإطار يقول James Brian Quinn من مدرسة Tech للأعمال: "إن ثلاثة أرباع القيمة المضافة تشق أساسا من المعارف".(الظاهر، 2012، ص47)

6. الطبيعة الغامضة والتركيبية المعقدة لرأس المال الفكري، مما يجعله مصدرا لمزايا تنافسية طويلة الأجل، يصعب تقليدها أو فك شيفرتها.

7. تعاطف القيمة اللامادية للمؤسسة على حساب قيمتها المادية، وهذا ما أشارت إليه الكثير من الإحصاءات، فقد أظهرت بعض الدراسات أن 75% إلى 90% من رؤوس أموال الشركات في الأسواق المالية مؤلفة من أصول غير مادية¹، كما أظهرت دراسات أخرى الوزن اللافت والمهم للأصول اللامادية، حيث أشارت إلى ما نسبته 60% إلى 80% من قيمة الشركات، وهذه النسبة تختلف حسب قطاع النشاط. (Champetier, Velut, 2007)

8. تتجلى أهمية رأس المال الفكري أيضا من خلال أهمية نظم ومعايير قياسه، التي أصبحت من أهم المؤشرات التي تعكس تطور الفكر "المانجمناتي"، وهذا ما أكدته مجلة Harvard.B.R في عددها الصادر في سبتمبر/أكتوبر 1997، حيث أشارت إلى أن نظم قياس رأس المال المعرفي تعد من أهم ممارسات المحاسبة الإدارية (managerial accounting) في ظل العولمة والمعلوماتية والاتصالات. (المفرجي، صالح، 2007، ص 20)

¹ http://fr.wikipedia.org/wiki/Capital_immat%C3%A9riel , consulté le 06/07/2012.

وإجمالاً فإن رأس المال الفكري يحتل مكانة كبيرة ومنزلة رفيعة وأهمية بالغة، تجعله بحق في مقدمة انشغالات المؤسسة، مما يجعل مسألة تحديد مفهوم واضح ودقيق لهذا المصطلح مسألة مهمة.

ولعل ما يمكن أن يكون عوناً في تحديد هذا المفهوم، معرفة خصائصه الأساسية، بعد أن عرفنا تطوره التاريخي وكشفنا أهميته الكبيرة.

III. خصائص رأس المال الفكري

رغم أن رأس المال الفكري قد يشبه رأس المال الملموس في قدرته على توليد تدفقات نقدية مستقبلية، إلا أن له جملة من الخصائص تميزه جذرياً عن هذا الأخير. من بين هذه الخصائص نذكر ما يأتي:

9. ليس له وجود مادي، وهذا ما يعد من أبرز خصائصه ومميزاته، فهو غير ملموس، وهذا ما صعب محاولات تعريفه وتحديده وقياسه وتسييره.

10. يتألف رأس المال الفكري من عدة مكونات يمكن اعتبار كل واحد منها رأس مال في حد ذاته. وعلى الرغم من أن الباحثين لم يتفقوا على هذه المكونات، إلا أن الكثير منهم حدد المكونات الآتية: رأس المال البشري، رأس المال الهيكلي، رأس المال العلائقي.

11. تعمل كافة أشكال (مكونات) رأس المال الفكري بشكل متضافر و متمازج لإنتاج القيمة النهائية، وليس كل مكون يعمل بشكل منفصل عن بقية المكونات. (Talukdar, 2008, p2)

12. لا يمكن إجراء تقييم دقيق وأكد للمزايا الاقتصادية المستقبلية المتولدة عن رأس المال الفكري، (Tremblay, 2003, p16) ولذلك تبقى مسألة تقييمه بشكل دقيق - لحد الآن - مسألة نسبية وغير متفق عليها.

13. لا تمتلك المنظمة كافة أشكال رأس المال الفكري، مثل رأس المال البشري ورأس المال العلائقي، لكن يمكنها تقاسم هذين النوعين مع العمال والموردين والزبائن (Talukdar, 2008, p2)

14. صعوبة تبادل بعض أشكال رأس المال الفكري، فرغم أن المنظمة تمتلك رأس المال الهيكلي وتتحكم فيه، إلا أنه يتعذر عليها تبادله نظراً لعدم وجود أسواق خاصة لهذا الغرض. (Talukdar, 2008, p2)

15. يمكن لرأس المال الفكري أن يظهر في صورة محددة ومبلورة (fixed)، مثل براءات الاختراع، كما يمكن أن يأخذ شكلا مرنا وغير محدد (flexible)، مثلما هو الحال في المهارات والقدرات البشرية. (Wall et al, 2004, p2)

16. يمكن لرأس المال الفكري أن يؤدي دورا مزدوجا، بأن يشكل - في الوقت نفسه- مدخلات عملية خلق القيمة ومخرجاتها، أي أنه قد يكون هو المعرفة التي تُحوّل إلى قيمة، كما قد يكون هو في حدّ ذاته أحد مخرجات تحولات المعرفة. (Wall et al, 2004, p2)

وعلى أية حال فإن أهم ما يختص به رأس المال الفكري هو أنه غير ملموس، وذو طبيعة غامضة ومعقدة وضمنية، وهذا ما تمخض عنه إشكالية في مفهومه، صعّبت عملية تحديده وقياسه والتحكم فيه.

IV. إشكالية مفهوم رأس المال الفكري.

على غرار أي مكون من مكونات المنظمة، يُعد تحديد تعريف واضح، دقيق، شامل وجامع لرأس المال الفكري مسألة ضرورية لتسييره والتحكم فيه بما يحقق الفائدة القصوى والأهداف المرجوة.

بيد أن الطبيعة الغامضة والمعقدة وغير الملموسة لهذا المكون أفرزت إشكالية في مفهومه، نتج عنها العديد من التعريفات المبنية على العديد من وجهات النظر المتشابهة حيناً والمتباينة أحياناً. وفيما يأتي جانب من الجدل الدائر حول تعريف رأس المال الفكري، وهو ما يعكس بوضوح هذه الإشكالية المفهومية:

يذهب عدد من المؤلفين والباحثين إلى حصر رأس المال الفكري في عدد محدود من أفراد المؤسسة، ولعل ما دفعهم إلى ذلك استنادهم إلى أصوله التاريخية ذات الخلفية البشرية كما ذكرنا سلفاً في معرض الحديث عن تطوراتها، وهذا ما يمكن أن نلمسه من خلال عدة تعاريف لعدد من الباحثين، ساقها كل من ع.ح.المفرجي و أ.ع.صالح في كتابهما الموسوم بـ: رأس المال الفكري، طرق قياسه وأساليب المحافظة عليه: (المفرجي، صالح، 2007، ص ص 15-18)

فمثلاً يعرفه Webster بأنه صفة للقياديين التحويليين، تمثل قدرتهم على تحويل التقنية من البحث إلى التصنيع بنجاح عالٍ يساهم في بقاء المنظمة في عالم المنافسة لمدة طويلة.

وينظر إليه *Youndt* وآخرون بأنه قدرات متميزة يتمتع بها عدد محدود من الأفراد العاملين في المنظمة، تمكنهم من تقديم إسهامات فكرية تمكن المنظمة من زيادة إنتاجها وتحقيق مستويات أداء عالية مقارنة بالمنظمات المماثلة.

ويعتقد *Spender* أن رأس المال الفكري يمثل نخبة من العاملين، لهم القدرة على تفكيك هيكلية الصندوق الأسود للعمل الإنتاجي إلى مكوناته الأولية، وإعادة تركيبها بشكل متميز.

أما *Kelly* فيرى أن رأس المال الفكري للمنظمة يتكون من العاملين الذين يمثلون النجوم اللامعة والعقول المدبرة، الذين يصعب إيجاد بديل عنهم.

ويعبر عنه *Ulrich* بأنه مجموعة المهارات المتوافرة في المنظمة، التي تتمتع بمعرفة واسعة تجعلها قادرة على جعل المنظمة عالمية من خلال الاستجابة لمتطلبات الزبائن والفرص التي تتيحها التقنية.

أما صالح حرشوش فيرى أنه يمثل نخبة من العاملين تستطيع إنتاج الأفكار الجديدة التي تستطيع المنظمة من خلالها أن توسع حصتها في السوق وتعظم نقاط قوتها في مواقع قادرة على اقتناص الفرصة المناسبة.

يؤيده في ذلك ما ذهب إليه علي محمد عبد الوهاب من أن رأس المال الفكري عبارة عن عقول تتمتع بمهارات متفردة تجعلها قادرة على النظر من عدة جوانب والتفكير في عدة اتجاهات للوصول إلى أسلوب عمل جديد يحقق اقتناص فرص أكثر.

ويلخص كل ذلك ما ذكره *Danny Wallace* من أن رأس المال الفكري هو التجليّ الغالب والشكل السائد من أشكال رأس المال البشري. (*Wallace, 2007, p94*)

يبدو جليا من خلال هذه العينة من التعاريف أن المقصود برأس المال الفكري هو عينة فريدة من عمال المؤسسة، تتميز بقدرات خاصة ومهارات عالية وفريدة قادرة على إنتاج المعارف وبنائها وتحقيق مستويات عالية من الأداء، بحيث يصعب استبدال هؤلاء العمال أو استئصالهم.

وخلاصة ما ذهبت إليه هذه التعريفات أن رأس المال الفكري للمنظمة ليس إلا جزءاً من رأس مالها البشري، وهذا فعلا ما أكده المؤلفان المفرجي وصالح في كتابهما المذكور أعلاه، حيث خلصا إلى تعريف رأس المال الفكري كما يأتي: (المفرجي، صالح، 2007، ص 18).

"جزء من رأس المال البشري للمنظمة، يتمثل في نخبة من العاملين الذين يمتلكون مجموعة من القدرات المعرفية والتنظيمية دون غيرهم، تمكنهم هذه القدرات من إنتاج الأفكار الجديدة أو تطوير أفكار قديمة، التي تمكن المنظمة من توسيع حصتها السوقية وتعظيم نقاط قوتها، وتجعلها في موقع قادرة على اقتناص الفرصة المناسبة، ولا يتركز رأس المال الفكري في مستوى إداري معين دون غيره، ولا يشترط توافر شهادة أكاديمية لمن يتصف به".

لكنّ حصرَ رأس المال الفكري للمنظمة في رأسمالها البشري يُعدُّ قلباً للمفهومين رأساً على عقب وفقاً لطائفة أخرى من الباحثين، بحيث يجعل الكل جزءاً والجزء كلاً، لأن رأس المال البشري - حسب أحدث الدراسات والتصنيفات - يعتبر جزءاً من رأس المال الفكري، وليس العكس كما سنرى لاحقاً.

هناك من يعرف رأس المال الفكري بأنه كافة العوامل الحاسمة في النجاح المستقبلي للمنظمة، والتي لا تظهر في الميزانية التقليدية. (Jacobsen et al, 2005, pp 570-587) يؤيد ذلك ما ذهب إليه A.Fustec و B.Marois من أن رأس المال الفكري هو ببساطة كافة ثروة المؤسسة التي لا يمكن قراءتها في الكشوف المالية. (Fustec, Marois, 2006, p13)

يظهر أن أصحاب هذا التعريف انطلقوا من الإهمال المحاسبي التاريخي لكثير من العناصر والموجودات غير الملموسة في المنظمة، نظراً لصعوبة تحديدها وتعذر قياسها، وبالتالي صعوبة تسجيلها محاسبياً أو ظهورها في قائمة المركز المالي.

ولا أدلّ على هذا الإهمال -لهذه القيم اللامادية - من الفجوة الكبيرة التي تظهر بين القيمة المحاسبية (الدفترية) للشركة وبين قيمتها في السوق المالية.

وهذا ما حدا ببعض المؤلفين إلى تعريف رأس المال الفكري انطلاقاً من هذه الفجوة القيمة، حيث يعرفونه بأنه الفرق بين القيمة السوقية والقيمة المحاسبية للشركة. (Avril, Dumont, 2006, p1)

لكن ما يؤخذ على هذا الاتجاه في تعريف رأس المال الفكري، أنه لا يمكن الجزم أو الحكم بأن هذا الأخير لا يظهر بالميزانية مطلقاً، فرغم أن أجزاءً كبيرة منه مخفية وغائبة عن الميزانية فعلاً، إلا أن هناك بعض العناصر المسجلة بالمركز المالي والتي تعتبر جزءاً من رأس المال الفكري، مثل: شهرة المحل، العلامة التجارية، حقوق الملكية الفكرية، رغم ما يؤخذ على تقييم هذه العناصر بالميزانية.

رأس المال الفكري: إشكالية مفهوم؟

ومن جهة أخرى، فإن فهم رأس المال الفكري بأنه الفجوة بين القيمتين السوقية والمحاسبية قد يؤدي إلى استنتاجات خاطئة، واختلالات مخلة بمفهوم رأس المال الفكري؛ لأن القيمة السوقية للمنظمة مبنية على سعر أسهماها في السوق المالية، هذا الأخير الذي ليس إلا تعبيراً عن إدراك المستثمر لما سوف يؤول إليه مستقبل الشركة (يس، 2007، ص 220)، وبالتالي فهذا قد يؤدي إلى تباين كبير في قيمة رأس المال الفكري للمنظمة من سنة إلى أخرى، وربما خلال السنة نفسها، مثال ذلك ما أشار إليه Sveiby من خلال استعراضه ميزانية شركة Nokia، حيث أوضح أن هذه الأخيرة خسرت 86 بليون دولار من قيمة رأس مالها الفكري خلال سنة واحدة (يس، 2007، ص 220).

وعلى هذا الأساس يبدو أن حصر رأس المال الفكري في الفجوة بين القيمتين السوقية والمحاسبية للشركة، يبدو محاولة لإيجاد تفسير لهذه الفجوة أكثر منه سعياً لتحديد تعريف دقيق وشامل لرأس المال الفكري.

هناك من أثر تعريف رأس المال الفكري بالاعتماد على تبيان مكوناته. من أهم الإسهامات في هذا التوجه أبحاث كل من Edverson و Malon من شركة Skandia السويدية للخدمات المالية والتأمينية، حيث عرفا رأس المال الفكري بأنه جميع الموجودات الفكرية التي تتجاوز قيمتها قيمة الموجودات الأخرى التي تظهر في الميزانية العمومية (العنزي، صالح، 2009، ص 168). تنقسم هذه الموجودات إلى صنفين من رأس المال: (Fustec، Marois، 2006، p17) رأس مال بشري ورأس مال هيكلية، هذا الأخير الذي ينقسم بدوره إلى رأس مال تنظيمي وآخر زبوني.

ولم يبتعد كثيراً Chun Wei Choo و Nick Bontis عن هذا التقسيم، حيث يعتقدان أن رأس المال الفكري عبارة عن توليفة بين ثلاثة أنواع من رؤوس المال (Choo، Bontis، 2002، p629): رأس المال البشري، رأس المال الهيكلي، رأس المال العلائقي.

أما Karl-Erik Sveiby فيقترح ثلاثية أخرى لا تختلف كثيراً عما سبق، نعيد أن رأس المال الفكري عبارة عن: (R.Baker، 2008، p50) رأس مال بشري، رأس مال هيكلية، رأس مال اجتماعي (المستهلكون، البائعون، الشبكات، العلاقات...).

نلمس من خلال هذه المحاولات أن أصحاب هذا الاتجاه ذهبوا إلى تحليل رأس المال الفكري لمكوناته الأساسية، وبذلك فهذه المحاولات تعتبر تحليلاً لرأس المال الفكري أكثر منها تحديداً لمهنيته وكنهه.

هناك أيضاً من حاول ربط مفهوم رأس المال الفكري بالأرباح، حيث يرى كل من Davenport و Prusak أن رأس المال الفكري يتمثل في المعرفة التي يمكن تحويلها إلى ربح. (بحضيه، 2004، ص121)

صحيح أن هناك علاقة وطيدة ورابطة أكيدة بين رأس المال الفكري والربح، وقد سبق وأن ضربنا أمثلة عن الأرباح الخيالية التي تحققها براءات الاختراع وأفكار الموظفين وإبداعاتهم، وذلك في معرض حديثنا عن أهمية رأس المال الفكري.

بيد أنه من غير المناسب اختزال رأس المال الفكري في المعرفة التي يمكن تحويلها إلى ربح لسببين:

الأول: لا يقتصر رأس المال الفكري على المعرفة فقط، (وإن كانت المكون الرئيس فيه) بل يمتد ليشمل كافة تحولاتها، مثل الدراية العملية (*savoir-faire*) الدراية السلوكية (*savoir-être*)، ثم المهارات، الفردية منها والجماعية... إضافة إلى أنه يضم عناصر أخرى ليست من ضمن أشكال المعرفة.

الثاني: أن الربح مفهوم محاسبي قصير الأجل، ينتج عن مقارنة إيرادات دورة محاسبية مع تكاليفها، بينما يعد رأس المال الفكري مفهوماً استراتيجياً، قد لا تظهر آثاره الاقتصادية - التي يصعب تقييمها أو حصرها في الأرباح- إلا في الأجل الطويل، علاوة على أنه -على العكس من الربح- لا يمكن إجراء تقييم دقيق وأكد للمزايا الاقتصادية المستقبلية المتولدة عن رأس المال الفكري (*Tremblay, 2003, p16*) كما أشرنا سلفاً في معرض الحديث عن خصائصه.

ربما كان من الأفضل -في هذا الاتجاه- الاستناد إلى أهمية رأس المال الفكري كمصدر لتوليد الثروة وخلق القيمة واستدامتها داخلياً وخارجياً، بدل ربطه بالأرباح، وفي هذا التوجه، توجد طائفة من التعاريف التي سلطت الضوء على الدور الذي يؤديه رأس المال الفكري في خلق القيمة.

رأس المال الفكري: إشكالية مفهوم؟

فقد ذكر Ross وآخرون أن رأس المال الفكري عبارة عن كافة الموارد غير الملموسة أو تحويلاتها، الخاضعة إلى قدر معين من إشراف المؤسسة وسيطرتها، والتي تخلق لها القيمة. (Fernström, Roos, 2005, pp 489-509)

كما يعرفه كل من Young و Larry بأنه تلك المادة الفكرية المُشكَّلة (formalised) والمضبوطة (captured) والفعالة (leveraged) لإنتاج أصول ذات قيمة عالية. (Wall et al, 2004, p15)

ومن جهته عرفه Stewart بأنه المادة الفكرية (معارف، معلومات، ملكية فكرية، خبرات...) التي يمكن استخدامها لخلق الثروة. (Anghel, 2008, pp 75-84)

خاتمة:

من خلال ما تقدم، وبعد استعراض وجهات النظر هذه -التي بدت متفقة حيناً ومتباينة أحياناً- نخلص إلى القول بأن هناك فعلاً مشكلة في فهم مصطلح رأس المال الفكري، وأن هذه المشكلة صعبت مهمة صياغة تعريف واضح، دقيق، وشامل لهذا المصطلح.

بيد أنه بعد الوقوف على مختلف هذه الآراء والإسهامات -يمكن أن نستخرج منها بعض الأفكار الأساسية التي يمكن اعتمادها كأساس لبناء تعريف نحسبه مناسباً لرأس المال الفكري، محاولين بذلك التوفيق بين أهم وجهات النظر في هذا المضمار. أهم هذه الأفكار:

17. رأس المال الفكري موجود كسائر موجودات المؤسسة.
1. أنه غير ملموس.
2. لا يخضع بشكل كامل لسيطرة المنظمة وإشرافها.
3. يمكن إدراكه ومشاهدة آثاره الاقتصادية.
4. على الرغم من وضوح آثاره وإمكان قياسها إلا أنه -في حد ذاته- يتميز بالغموض والتعقيد وصعوبة القياس.
5. بسبب صعوبة القياس يصعب تسجيله في القوائم المالية والكشوف المحاسبية.
6. يظهر في عدد من الأشكال وتطراً عليه عدة تحويلات.
7. له عدة مصادر منها ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي.
8. غالباً هو المسؤول عن الجزء الأكبر من قيمة المؤسسات و ثروتها.
9. تتفاعل أجزاؤه ومختلف مكوناته بشكل متظافر و متمازج لتشكّل مزيجاً فريداً يخلق القيمة وينتج الثروة.

بناء على هذه العناصر والأفكار يمكن تعريف رأس المال الفكري بأنه: "جميع الموجودات غير الملموسة وتحولاتها وتفاعلاتها -مهما كانت طبيعتها وأياً كان مصدرها- المسؤولة بشكل مباشر أو غير مباشر عن إنتاج الجزء الأكبر من قيمة المنشأة وثروتها"

وعلى أية حال، فإن أهم ما يمكن التوصل أنه لا يوجد إلى حد الآن تعريف شامل، دقيق ومتفق عليه لرأس المال الفكري، وهذا راجع إلى طابعه المركب والمعقد وغير الملموس. ولعل قيمته المتنامية وأهميته المتزايدة حالياً لا ترتبطان بقيمة الأصول المكونة له بقدر ما تتبعان أساساً من هذا الطابع المعقد والمركب، (Kong, 2006, p39) مما يُصعب مسألة تقليده أو استنساخه من قبل المنافسين، وهذا بحد ذاته أفضلية تنافسية لصالح المؤسسة.

المراجع:

باللغة العربية:

1. اسمهان ماجد الطاهر، "إدارة المعرفة"، دار وائل للنشر، عمان، الطبعة الأولى، 2012، ص 47.
2. زكريا مطلق الدوري، أحمد علي صالح، "إدارة التمكين واقتصاديات الثقة في منظمات أعمال الألفية الثالثة"، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص 158.
3. سعد علي العنزي، أحمد علي صالح: "إدارة رأس المال الفكري في منظمات الأعمال"، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص ص 157-166.
4. سعد غالب يس، "إدارة المعرفة: المفاهيم، النظم، التقنيات"، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2007، ص 220.
5. سملاي يحضيه، "أثر التسيير الاستراتيجي للموارد البشرية وتنمية الكفاءات على الميزة التنافسية للمؤسسة (مدخل الجودة والمعرفة)"، أطروحة دكتوراه دولة في العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر، 2003-2004، ص 121.
6. عادل حرحوش المبرجي، أحمد علي صالح: "رأس المال الفكري، طرق قياسه وأساليب المحافظة عليه"، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، 2007، ص 20.
7. ولاء محمد عدنان النقي، "مشكلات قياس رأس المال الفكري وانعكاساتها على قيمة منشآت الأعمال في سورية"، دراسة ميدانية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في المحاسبة، جامعة دمشق، 2010، ص 7.

باللغة الأجنبية:

1. Anghel Ion, (2008), "intellectual capital and intangible assets analysis and valuation", *Theoretical and Applied Economics*, vol. 3(520), issue: 3(520), pp 75-84.
2. AVRIL Olivier, DUMONT Didier, (2006), "Comment évaluer le capital immatériel de l'entreprise", *Dossier: Gestion d'entreprise* (20), p1.
3. Baker Ronald J., (2008), "Mind over matter: why intellectual capital is the chief source of wealth", ed. John Wiley and Sons, Inc. Hoboken, New Jersey, U.S.A., p50.

4. Becker Gary S., (1975), "Human Capital: A Theoretical and Empirical Analysis, with Special Reference to Education", ed: National Bureau of Economic Research, New York, 2nd ed., pp 19-37.
5. Brage Viktor, Eckerstöm Gustaf, (2010), "Measuring value creation in M & As, a comparison between related and unrelated firms", School of Business Economics and Law, GÖTEBORG UNIVERSITY. <http://hdl.handle.net/2077/22381>.
6. Champetier Michel, Velut Christoph, (2007), "intégrer le capital immatériel dans les comptes", le journal du Net: le 16/10/2007, <http://www.journaldunet.com/management/0710/tribune-capital-immateriel/1.shtml>, consulté le 06/07/2012.
7. Charreaux C., Pitou-Belin J.P., (1992), "Les théories des organisations", dans Helfer J-P., Orsoni J., "Encyclopédie du management", Vuibert, tome 2, janvier, pp. 258-269.
8. Chatzkel Jay, (1998), "Measuring and valuing intellectual capital: from knowledge management to knowledge measurement", Journal of Systemic Knowledge Management, from: <http://www.tlaine.com/artic10.htm>, accessed: 03/10/2012.
9. Chatzkel Jay, (2002) "intellectual capital", ed. Capstone Publishing (a Wiley company), Oxford OX4 IRE, United Kingdom, p 18.
10. Choo Chun Wei, Bontis Nick, (2002), "the strategic management of intellectual capital and organizational knowledge", OXFORD university press, p 629.
11. De Jager Martha, "THE KMAT : BENCHMARKING KNOWLEDGE MANAGEMENT", Arthur Andersen, Business Consulting, Johannesburg, South Africa, Library Management, Vol. 20 Iss: 7, pp.367 – 372.
12. Fisher Irving, (1907), "The rate of interest: its nature, determination and relation to economic phenomena", ed. The MACMILLAN COMPANY, New York, p 193.
13. Fustec Alan, Marois Bernard, (2006), "valoriser le capital immatériel de l'entreprise", les éditions d'Organisation, Paris, p 13.
14. Harrison Suzanne, Patrick H. Sullivan Sr, (2000), "Profiting from intellectual capital: Learning from leading companies", Journal of Intellectual Capital, Vol. 1 Iss: 1 pp. 33 – 46.
15. Kiker B. F., (1966), "The Historical Roots of the Concept of Human Capital", Journal of Political Economy, Vol. 74, No. 5, pp. 481-499.
16. Koenig Michael, (2000), "The Resurgence of Intellectual Capital, The emphasis shifts from measurement to management", Information today, Volume 17, Issue: 8, from: <http://www.infotoday.com/it/sep00/koenig.htm>, accessed: 03/10/2012.
17. Kong Annick (2006), "DSI et capital immatériel, maturité et mise en œuvre", rapport rédigé au CIGREF lors d'un stage de master management et ingénierie économique, université de Marne-la-Vallée. p39.
18. Kristine Jacobsen, Peder Hofman-Bang, Reidar Nordby Jr, (2005), "The IC Rating model by Intellectual Capital Sweden", Journal of Intellectual Capital, Vol. 6 Iss: 4 pp. 570 - 587.
19. Lennox Henry, (2013), "Intellectual capital in a recession: evidence from UK SMEs", Journal of Intellectual Capital, Vol. 14 Iss: 1 pp. 84 – 101.
20. "Le capital immatériel : priorité à l'approche citoyenne dans l'économie de l'ère numérique", conférence mondiale d'UNI pour les cadres, Singapour, 21-23 août 2000, p11.
21. Lovaglio Pietro Giorgio (2008), "Process of accumulation of Italian human capital", Structural Change and Economic Dynamics 19, pp. 342–356.
22. MAROIS Bernard, BONPOINT Patrick, (2004), "gouvernement d'entreprise et communication financière", éd. Economica, Paris, p 73.
23. Marr Bernard, (2005), "Management consulting practice on intellectual capital: Editorial and introduction to special issue", Journal of Intellectual Capital, Vol. 6 Iss: 4 pp. 469 - 473.
24. Marshall Alfred, (1920), "Principles of Economics, an introductory volume", ed: lighth edition, London, 8th edition, p 324.
25. Meignant Alain, (2000), "Ressources humaines, déployer la stratégie", ed. : Liaisons, Paris, p 50.

26. MINCER Jacob, (1984), "Human Capital and Economic Growth", *Economics of Educatorion Revue*. Vol. 3. No. 3. pp. 195-205.
27. Mouritsen J., et al, (2001), "Valuing the future: intellectual capital supplements at Skandia", *Accounting, Auditing & Accountability Journal*, Vol. 14 No 4, pp. 399-422.
28. S. Pike, L. Fernström, G. Roos, (2005), "Intellectual capital: Management approach in ICS Ltd", *Journal of Intellectual Capital*, Vol. 6 Iss: 4 pp. 489 - 509.
29. Schultz Theodore W., (1972), "Human Capital: Policy Issues and Research Opportunities", *Economic Research: Retrospect and Prospect*, Volume 6, Human Resources, pp. 1 – 84.
30. Schultz Theodore W., (1972), "HUMAN RESOURCES", *Economic Research: Retrospect and Prospect*, Volume 6, National Bureau of Economic Research, NEW YORK, , pp 6-7.
31. Smith Adam, (1852), "An Inquiry into the Nature and Causes of the Wealth of Nations", ed: T. Nelson and Sons, Paternoster Row; and Edinburgh. London, pp 27 – 36.
32. Talukdar Abhijit, (2008), "What is intellectual capital? And why it should be measured?", *Attainix Consulting*, p2.
33. TEECE David J., (1986), "Profiting from technological innovation: Implications for integration, collaboration, licensing and public policy", *Research Policy*, Volume 15, Issue 6, pp. 285–305.
34. Tremblay Diane-Gabrielle, (2003), "productivité et performance : enjeux et défis dans l'économie du savoir", *université du Québec*, p16.
35. Troxler Peter, "Intellectual Capital", from: <http://peteretroxler.net/content/wp-content/uploads/2009/06/6.2-IntellectualCapital.pdf>, accessed: 03/10/2012.
36. Truls E.J. Engström, Petter Westnes, Siren Furdal Westnes, (2003), "Evaluating intellectual capital in the hotel industry", *Journal of Intellectual Capital*, Vol. 4 Iss: 3 pp. 287 – 303.
37. Wall Anthony, et al, (2004), "Intellectual Capital: Measuring the Immeasurable?" Ed. CIMA Publishing, Great Britain, p2.
38. Wallace, D. P., (2007), "Knowledge Management: Historical and Cross-disciplinary Themes", ed. Libraries unlimited, London, p94.
39. « Le capital immatériel : priorité à l'approche citoyenne dans l'économie de l'ère numérique », *conférence mondiale d'UNI pour les cadres, Singapour, 21-23 aout 2000*, p11.
40. http://fr.wikipedia.org/wiki/Capital_immat%20A9riel , consulté le 06/07/2012.
- 41.